«حرية الصحافة العربية» ندوة تنظمها مؤسسة الثورة للصحافة بمناسبة تدشين العدد 100 من كتاب في جريدة

منصة الندوة بحضور وزير الاعلام +المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية / سبانت

جانب من الحضور من المفكرين والمختصين العرب/ سبا نت

نظمت مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر أمس بصنعاء فعالية احتفائية بتدشين انطلاقة المائة الثانية لـ" كتاب في جريدة " وتوزيع ربع مليار نسخة من الإصدار المئوي لكتاب في جريدة من خلال كبريات الصحف اليومية العربية ومنها صحيفة الثورة في اليمن .

وتضمنت الإحتفائية ندوة بعنوان (حرية الصحافة في الوطن العربي).. شارك فيها نخبة من المثقفين والمفكرين والمختصين العرب .

صنعاء– سبأنت:

وفي افتتاح الندوة أشاد الدكتور عبدالعزيز المقالح، المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية عضو الهيئة الاستشارية لـ كتاب في جريدة ".. بالنجاح الكبير الذي حققه " كتاب في جريدة " في خدمة الثقافة والفكر الإنساني ومستوى الإنتشار الواسع لإصداراته .. مشددا على أهمية نشر الثقافة العربية ونتاجات العلماء العرب بمايصب في خدمة الأهداف المنشودة .

وبارك الدكتور المقالح جهود اليونسكو المتبنية لهذا المشروع وكل الجهات المساهمة في إنجاحه.. منوها إلى أن مثل هذا المشروع الهام كان ينبغي أن تتبناه جامعة الدول العربية نظرا لأهميته البالغة ودوره في بناء صلة معرفية هامة بين ملايين القراء في الوطن العربي واسهامه في تنمية معارفهم ومداركهم بمايخدم غايات التنمية الثقافية العربية وتقديم الروائع الثقافية العربية في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والابداعية .

من جانبه أثنى حسن أحمد اللوزي وزير الاعلام على النجاح الكبير الذي حققه مشروع " كتاب في جريدة " وتناول في كلمته موضوع حرية الصحافة في الوطن العربي .. مؤكدا على على اهمية حرية الصحافة ودورها في رقي وتطور اي مجتمع من المجتمعات ما جعل الموقف منها والالتزام بها هو المقياس لمدى التقدم الذي صار يحرزه المجتمع في تطوره الانساني والدولة في مكانتها الحضارية .

وقال وزير الاعلام " إن الارادة اليوم تتوجه نحو جعل الحرية زاد حياة وزناد حركة وقوة دفع وتشكيل للمصير البشري المشترك في حضارة واحدة متعددة الثقافات وحرية الصحافة في مقدمة تلك الحريات ".. مضيفا أنه اذا وقفنا بنظرة تقييمية امام الصحافة اليمنية نجد انها قد احرزت في عهد الوحدة المبارك تطورا كبير هاما في الثلاثة الاتجاهات الخاصة بهذا الموضوع في ترجمة معنى التزامها بالحرية وفي ادائها لوظيفة الصحافة ولمهنية العلم الصحفي والتقدم نحو مؤسسية العمل الصحفي .

وتابع قائلا :" لابد لنا ان نكون صرحاء حين نؤكد على الحقيقة الساطعة أن حرية الصحافة في اليمن ما كان لها ان تصل الى هذه المكانة الراقية لولا الرعاية الكبيرة والاهتمام الخاص اللذين اعطاهما ويعطيهما فخامة الاخ الرئيس على عبد الله صالح رئيس الجمهورية للصحافة وحرصه عليها وتشديده لحمايتها " .

فيما تحدث السيد / كيوشيروا ماتسورا مديرعام منظمة (اليونسكو) بكلمة عبر في مستهلها عن الشكر والتقدير لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح على مايوليه من إهتمام لقضايا حماية التراث والمدن التاريخية وكذا رعايته لقضايا التربية والثقافة .. مؤكدا أن منظمة اليونسكو تولي مشروع /كتاب في جريده/ اهتماما خاصا نظرا لأهميته في نشر الثقافة والفكر الإنساني وإبراز إبداعات العلماء العرب

وثمن مدير عام منظمة (اليونسكو) مبادرة اليمن لإقامة هذه الاحتفالية وجهود الأدباء والفنانين الذي يتولون تنفيذ المشروع وكافة المؤسسات الصحفية التي تتولى طباعة وتوزيع إصداراته .. مشيرا في هذا الصدد الى سعة الانتشار التي بات يحققها الكتاب والذي صار يصدر اكثر من 3 ملايين نسخة شهريا توزع على مختلف دول المنطقة العربية .

وكان على ناجي الرعوي رئيس مجلس إدارة مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر– رئيس تحرير صحيفة الثورة قد القى كلمة رحب فيها بالحاضرين والمشاركين في الندوة .. موضحا النجاحات التي حققها هذا المشروع الثقافي والاعلامي الكبير " كتاب في جريدة" ومساهمة اليمن الفاعلة في هذا النجاح

من جانبهما تحدث الشاعر العراقي شوقي عبد الامير المشرف العام على "كتاب في جريدة " والشاعر اللبناني الدكتور جودت فخر الدين عضو الهيئة الاستشارية لـ كتاب في جريدة عن مسيرة المشروع والنجاحات التي حققها منذ إنطلاقاته .

وأعتبرا مشروع كتاب في جريدة أنه المشروع العربي الوحيد الذي يوحد العرب ويجسد الوحدة الثقافية من خلال إصداراته المختلفة التي تبرز إبداعات العلماء العرب في مجالات الفكر والأدب والفن وغيرها من المجالات الفكرية والمعرفية .. مشيدين بجهود اليمن التي كانت في طليعة الدول العربية الحاضنه لهذا المشروع من خلال صحيفة الثورة .

بعد ذلك بدأت أعمال الندوة التي أدارها الدكتور عبد العزيز المقالح المستشار الثقافي لرئيس الجمهورية عضو الهيئة الاستشارية لـ كتاب في جريدة " .. حيث قدمت ثلاث اوراق عمل الأولى قدمها الشاعر اللبناني الدكتور جودت فخر الدين عضو الهيئة الاستشارية لـ كتاب في جريدة حول "حرية الصحافة والإشكاليات القائمة" تناول فيها واقع الحريات الصحافية في الوطن العربي والتشريعات القائمة والعوائق التي تواجه حرية الصحافة في الدول العربية .وتناولت ورقة العمل الثانية المقدمة من الأخ احمد عبد الله الصوفي بعنوان " عوائق اسهام الصحفيين اليمنيين في التحول الديمقراطي " المحددات الخاصة بإسهامات الصحفيين في التحول الديمقراطي والمتمثلة ببيئة الديمقراطيه والا ديمقراطية والمهارات المهنية والتنوير والمسئولية ومستوى التنظيم لفئات المهنة والإدارة الصحفية وكذا التقاليد والخبرة التاريخية لبعض ممتهني مهنة الصحافة والإدارة الصحفية وكذا التقاليد والخبرة التاريخية .

فيما تناولت ورقة العمل الثالثة المقدمة من الأخ عبدالباري طاهر نقيب الصحفيين اليمنيين الأسبق بعنوان "الحريات الصحفية في اليمن ..عوائق وتحديات " .. القوانين والتشريعات اليمنية والنصوص الدستورية المنظمة لحريات الاعلام والصحافة .. مشيرا إلى ان الحرية الحقيقية في اليمن ظهرت بعد تحقيق الوحدة اليمنية المقترنة بالديمقراطية والتعددية السياسية .. مستعرضا العوائق المرئية وغير المرئية التي تواجهها حرية الصحافة .

في حين تناولت ورقة العمل الرابعة المقدمة من الشاعر العراقي شوقي عبد الامير المشرف العام على كتاب في جريدة موضوع الرقابة على كتاب في جريدة وكيف تم تجاوز عائق الرقابة بعد أن كانت تمثل مشكلة كبرى واجهها الكتاب عند بداية انطلاقه بسبب اختلاف معايير النشر في الدول التي يوزع فيها الكتاب.

ولفت الى ان الرقابة الادبية على المطبوعات تتمثل في ثلاثة جوانب الجانب الاول يخص المؤلف ويختص الثاني بشكل الكتاب واسلوب اخراجه والثالث يتعلق بمضون الكتاب .

وتناولت ورقة العمل الخامسة التي حملت عنوان " البحث عن حرية الصحافة في الوطن العربي" والمقدمة من الاخ اسكندر الاصبحي رئيس تحرير صحيفة الميثاق . . واقع الصحافة والصحفيين في الوطن العربي والاصلاحات التشريعية والقانونية الجارية حاليا لضمان تطوير الاعلام المهني اضافة الى الاصلاح الاعلامي والثقافي وما ينبغي ان تشتمل عليه التشريعات الاعلامية من قوانين داعمة لحرية الصحافة وتسهل عمل مختلف وسائل الاعلام والثقافة والمعلومات.

وأستعرض ورقة العمل السادسة المقدمة من الأخ حسن أحمد اللوزي وزير الإعلام بعنوان " واقـع الصحافة اليمنية وآفـاق الحرية" .. التطور الكبير الـذي شهدته الصحافة اليمنية منذ إعادة تحقيق الوحدة الوطنية في الـ22 من مايو 1990م .. موضحا أنه بعد قيام الوحدة المباركة مقترنة بالديمقراطية والتعددية السياسية وجدت مؤسسات المجتمع المدني لتكون رديفا لمؤسسات الدولة الدستورية والمؤسسات التنفيذية ومؤسسات السلطات المحلية وامتلكت وفي مقدمتها الاحزاب والتنظيمات السياسية ادواتـها للتعبير الخاصة عبر الصحافة الحزبية وصـار للصحافة الـدور المشهود والمتطور. . مبينا أن صحافة زمن الوحدة والحرية والديمقراطية ورثت كل الايجابيات التي تحققت في المراحل السابقة .. لافتا إلى ان وزارة الاعلام قد نأت وصارت بعيدا في اقصى الحدود من ان تتولى عملية المتابعة لحركة العمل الصحفي الحزبي والاهلي والخاص كون الدستور الدائم في البلاد قد جعل مجلس الشورى صاحب المسؤولية والاختصاص الاول بهذا الشأن .

هذا وقد اثريت أوراق العمل بالمداخلات والتعقيبات من قبل عدد من الأكاديميين والصحفيين تناولت في مجملها واقع وحريات الصحافة في الوطن العربي وأهمية تطوير التشريعات القائمة في الدول العربية لضمان تعزيز الحريات الصحافية.

إبراهيم اليازجي «المعلّم»

نتذكّر الأديب اللبناني إبراهيم اليازجي عشية انصرام العام 2006، وقد كان عام الذكرى المئة لرحيله. كان يستحق هذا المعلّم الكبير أكثر من لفتة أو وقفة في هذه المناسبة، لكنه بدا شبه منسيّ، هو الذي حقق إنجازاً كبيراً في حقل اللغة العربية وكذلك في ميدان التعريب بعدما نقل الى العربية «الكتاب المقدّس» في عهديه القديم والجديد. وهذه الترجمة التي فاقت ترجمة سليمان البستاني لإلياذة هوميروس مطلع القرن الفائت، جمالاً وفتنة، كانت في صميم التحديث الذي شهدته اللغة العربية بعد ما أصابها من جمود في عصر الانحطاط. كان اليازجي الابن في طليعة الحركة التجديدية التي سعت الى إحياء العربية، وقد قصر معظم حياته على هذه المهمة بعدما هالته حال اللغة في عصره، وما تكابد من ركاكة وضعف وسقامة وتفكك وانحلال. وراح «يناضل» في سبيل تطوير اللغة وتشريع أفقها على الحياة وجعلها موازية لإيقاع العصر والمدنية.

ولعل اليازجي الابن هو أول من استحدث النقد اللغوي في عصر النهضة، فراح يكتب في مضمار اللغة دراسات ومقالات، متصدياً للأخطاء والأغلاط التي تعتري الصحف والكتب، مبتدعاً ألفاظاً حديثة لأغراض ومعان استجدت حينذاك، من خلال الاشتقاق الذي كان أحد أسياده، عطفاً على المجاز والاستعارة. وفي مقالة شهيرة له عنوانها «اللغة والعصر» قال بضرورة أن تكون اللغة مرآة العصر فتجاريه في علومه ومخترعاته، وتتيح للمرء أن يعبّر بها عما يعيشه وما يبصره ويسمعه. وبلغت به حماسته اللغوية شأواً حتى راح يُعمل قلمه في معاجم مثل «لسان العرب» و «تاج العروس»، واستطاع أن يبيّن قرابة مئتي خطأ في جزء صغير من «لسان العرب».

لم يترك إبراهيم اليازجي الكثير من الأعمال، وجلّ ما ترك ينتمي الى صلب الفعل اللغوي، لكنه كتب مقالات كثيرة درج على نشرها في «البيان» و «الضياء» وسواهما من مجلات عصر النهضة. وقد أنجز شرح ديوان المتنبي الذي بدأه والده ناصيف اليازجي، مضيفاً إليه تذييلاً نقدياً، ولم يتوان عن نسبه لأبيه مع أنه هو الذي صنع مجمله، وحمل الشرح عنواناً لافتاً: «العرف الطيب في ديوان أبي الطيب». ومن مؤلفاته التي تعدّ من المراجع المهمة «تحفة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»، وأذكر انني قضيت ساعات طوالاً أقلّب هذا الكتاب بجزئيه بحثاً عن المفردات الفريدة والمرادفات. أما ديوانه «العقد» فجُمع في الثلاثينات من القرن العشرين وضمّ منظوماته. إلا أن اليازجي لم يعُدّ نفسه شاعراً وقد أعرض عن الشعر في مقتبل حياته. ومن أشهر ما «قرض» قصيدته البائية الشهيرة التي باتت مضرب مثل عن التهاون العربي ويقول مطلعها: «تنبّهوا واستفيقوا أيها العرب...». وقد لاحقته السلطات العثمانية من جرائها.

قد يكون تعريب «الكتاب المقدّس» في عهديه ذروة ما أبدع اليازجي الابن. ففي هذه النصوص تجلّت عبقريته اللغوية وذائقته النثرية البديعة. فهذا العربي الذي خبر الصناعتين، شعراً ونثراً، منذ نشأتهما حتى العصور المتأخرة، عرف كيف يوفّق في نثره بين أسلوب «المترسّلين» الذي عُرف في العصر العباسي، والأسلوب المنمّق، الحافل بضروب البيان والبديع والبلاغة والزخرفة وسائر المحسّنات. صنّاع ماهر يلمّ بأسرار العربية وإيقاعاتها النثرية وجمالياتها. وقد جمع بين المتانة والسهولة، بين الصنعة واللطافة، بين البراعة في نسج الجمل والخبرة الجلية في انتقاء الألفاظ. وقد يوازي تعريبه لهذا «الكتاب» الضخم في عصر النهضة تعريب ابن المقفع لكتاب «كليلة ودمنة»، فالفن النثري لديه يبلغ ذروته أيضاً في ما يُسمّى «السهل الممتنع». إلا أن الصيغة التي اعتمدها اليازجي في ترجمته تنتمي الى اللغة الحديثة، المتجذرة في منابت التراث العربي والمنفتحة على العصر. وقد منح اليازجي الأسفار المتعددة في «الكتاب» ما يلائمها من صيغ وأساليب وملامح. ومَن يقرأ ترجمته للأسفار الشعرية مثل «نشيد الأناشيد» و «المزامير» و «سفر أيوب» و «مراثي إرميا» يكتشف الملكة اللغوية، النثرية والشعرية، التي وهب إياها. إنه في هذه الأسفار نثّار باهر، يتخطى تخوم النثر نفسه موغلاً في الغنائية الشاسعة. بل انه شاعر بالنثر، يدرك شروط اللعبة الخطرة التي يفصل فيها الشعر عن النثر خيط ضئيل. وقد تكون هذه الأسفار في صيغتها العربية خير شاهد على الغنى الموسيقي للنثر، وعلى قدرة هذا النثر على خلق الإيقاعات الداخلية الجمة. وقد تكون هذه النصوص لا سيما «نشيد الأناشيد» رافداً من روافد قصيدة النثر العربية. فأثر هذه النصوص يتجلى مثلاً في قصائد أنسي الحاج الغنائية وفي ديوان محمود درويش «سرير الغريبة» حيث تنتحل قصيدة الحب النفس الإنشادي العالي.

وإن كان شائعاً أن إبراهيم اليازجي لم يترجم «الكتاب المقدس» وحده بل كان واحداً من فريق عمل على هذه الترجمة وضمّ آباء فرنسيين هم بمثابة مستشرقين، فإن ما يجب الاعتراف به أن اليازجي هو الذي تولى صوغ النصوص العربية وكتابتها بالأحرى. وهذا ما يعترف به الناشر مسمياً اليازجي وحده من الفريق قائلاً: «رافق العمل الأديبُ الكبير إبراهيم اليازجي فنقّح عبارته وزاد في ترجمته رونقاً». وقد تعلّم اليازجي اللغتين العبرية والسريانية لهذه الغاية، وتطلبت منه الترجمة تسع سنوات. وصدرت هذه الترجمة قبل نحو اربع سنوات من الترجمة البروتستانتية التي تعاون فيها أكثر من أديب وفي مقدمهم المستشرق فان دايك.

في الذكرى المئة لغياب هذا الكاتب الكبير الذي ذكرنا به الناقد محمد دكروب من خلال دراسته الشاملة التي خصّه بها ونشرها في إحدى الصحف اللبنانية على دفعتين، لا بد من الإشارة الى أن «دار المشرق» المسؤولة أصلاً عن «الكتاب المقدس» استبدلت ترجمة اليازجي بترجمة حديثة أنجزها آباء يسوعيون انطلاقاً من الأولى واكتفت بها، من دون أن تعيد نشر الترجمة اليازجية، ما يعني اختفاء هذه الترجمة الفريدة من السوق الأدبية. وهذا خطأ فادح جداً يسيء أولاً الى الدار نفسها مثلما يسيء الى اليازجي والى الذاكرة الأدبية والى هذا الحدث الجليل الذي لم يشهد عصر النهضة ما يماثله في فرادته وقوّته.

عبده وازن

الحياة – 06/12/25//

الغزل في شعر إبراهيم الحضراني «1-3»

- مدخل :

كثيرون هم عمالقة الشعر العربي، وهو موزعون على خارطة الوطن العربي الكبير الممتد من الماء إلى الماء، منهم كذلك الشاعر والمبدع اليمني الكبير، الأستاذ إبراهيم الحضراني، الذي يعد " دنيا قائمة بذاتها قاراتها الظروف والحب والجمال " (1) امتلك القضية فصار يعبر عنها بصدق وشفافية مطلقة، فغنى للوطن والإنسان، وتغنى بالحرية والانطلاق والطفولة.. حتى المرأة لم يكن الحضراني – رغم انشغاله بقضية الوطن والإنسان اليمني – لم يكن ببعيد عنها، فقد وظفها في شعره، وظفها – وهو الغالب- كحبيبة، امرأة قائمة بذاتها تدرك بالمحسوسات، وتغزل بها، ألبسها ثوب المعنوي للتعبير عما يختلج في كيانه، وما يعج في أصداء نفسه..

عبدالله الدحملي

أحياناً يلبس الشاعر الحرية – مثلاً – أو المدينة أو.. ثوب المرأة فمضى في قصائده الغزلية ينظم شعراً جميلاً أخاذاً على وقع القوافي المتنوعة ما تيسر له ذلك، وبفيض من الدهشة المسكونة بعبق الروعة التي تتجلى فيها عبقريته المميزة.

وكلها ملامح ودلالات وسمات هي ألصق بالمرأة مما سواها، تثبت كعلامة دالة على قدرة الشاعر في تطويع اللغة تبعاً للحاجة الموضوعية ليعبر بذلك عن امتطائه صهوة القصيدة وتملكها والسيطرة عليها.. ولكون الحب والجمال قيمتين إنسانيتين ساميتين كثيراً ما نحتاج إليهما اليوم، وإلى شعر يصورهما، فإن موضوع الحب شقيق وقريب من النفوس، مما جعل كاتبي الأغاني والقصة والمسرح والمسلسلات في عصرنا لا يجدون موضوعاً يعد الحديث فيه أكثر تشويقاً وإمتاعاً للناس وتخفيفاً لهمومهم.

أقران هذا الشاعر وأبناء جيله قد نالوا حقوقهم – وإن جزءاً منها – في دراسة إبداعاتهم الشعرية، أمثال المقالح والبردوني وسواهما بيد أن أقلام النقاد قد جفت تجاه إبداع هذا الشاعر الكبير، ذلك لأن هذا الشاعر لم يكن يهتم كثيراً بجمع شعره وإخراجه إلى الناس سريعاً (القراء) في كتاب منذ بداياته الشعرية، والتي توزعت – أي بداياته الأولى لنظم الشعر – في ثنايا الصحف والمجلات المحلية منها والعربية، حتى جاء ديوانه الشعري الوحيد (القطوف الدواني من شعر إبراهيم الحضراني) والذي جمع أشتاته متأخراً عام 1981م صديقه الشاعر والمبدع محمد أحمد الشامي الذي بدوره لملم ما تبعثر من قصائد هذا المبدع من أمشاج كثيراً ما كانت مسجاة في رفوف بعض من تحصل عليها الشامي لديهم، ولديه هو، ومع هذا فإني أجزم أنها لم تكن كل شعره، ثم أن هذا الديوان – وهو الوحيد – لم ينل بعد حقه النقدي، وذلك لطبع في هذا الشاعر هو انه لا يبحث عن من يراود إبداعه، ومن ثم فالشاعر لم يمتلك العلاقة والصداقة مع النقاد الذين بدورهم يقيمون الإبداع لا عن طريق النص الإبداعي الذي يفرض نفسه وإنما من خلال العلاقات المجاملية – وهو حال اليوم والواقع – التي حظي بها غير هذا الشاعر..

فالنقاد لا يبحثون عن صاحب الإبداع، ويحالون اصطياده في المقاهي وفي أماكن عمله وتواجده.. ويبسطون أيديهم له هات لنقرأ كتابك، أهو المبدع – وهو طبعه – لا يبحث عنهم كذلك، ويرجوهم هاكم اقرأوا كتابيه..

– وهكذا فإن الشاعر المنسي هو في حقيقة الأمر ليس بمنسي مهما نسي النقاد مهمتهم وواجبهم تجاه أي مبدع حق.

– أجدني، وأنا أقلب صفحات هذا الديوان، أمام معترك من الصراع الداخلي الخفي أثر مغامرة في موضوع قليل الوفر من القصائد الغزلية، وفي المقابل أجد هذا الديوان يطفح بكيل وافر من الموضوعات التي استحوذت على أغلب قصائد الشاعر في هذا الديوان مثل القومية، الوطنية، الحرية..الخ، وذلك لأن ظروف اليمن كانت تعاني من عزلة ثقافية في شمال هذا الوطن، لذلك كان جل اهتمام الشاعر اليمني ينصب حول كرامة الإنسان وحريته منتهجاً مبدأ الدعوة إلى الثورة ضد الظلم والظلمة، وتغيير الحاضر المظلم واستبداله باليمن الجديد، ورغم كل ذلك – رغم كل تلك الظروف الشائكة – لم يكن الشعراء ببعيدين عن المرأة وتصويرها في بعض قصائدهم، خاصة الغزلية، كحبيبة، إذ ثمة بصيص، ومضات، وقفات للشعراء استقطبوا من خلالها صورة المرأة المحبوبة، وعبروا في قصائدهم عن خلجات النفس الجميلة، متناسيين هموم الواقع وصخب العصر وضجر اللحظة وكآبة الأيام الدامية والمميتة..

صورة المرأة (المحبوبة) في شعر الحضراني :

أشرنا – أنفاً – إلى شعر الحضراني لم يكن كله منصباً على موضوعات القومية، الوطنية و..الخ إذا أن ثمة وقفات له مع المرأة المحبوبة اشرأبت في ثنايا قصائده الغزلية، كما اشرأبت جلال الحب وقداسته ومد نفوذه وسلطانه ليستحوذ على دواخل أو داخل الشاعر، مما جعل له – أي الحب – الشاعر مكانة مقدسة يقول في **ذلك** :

قدسية الحب منها صغت أوزاني — وحولها حمت كي أمتاح ألحاني (3)

فمن الحب ومكانته المقدسة في دنيا الشاعر صار ينظم قصائده ويصوغ أوزانه بلحن له شجوه الخاص متحدثاً عن الحب ((بلوعة وحنان تشكو من أيام وليالي الشباب)) (4)، التي لم يستغلها الشاعر بعد، نتيجة لظروفه القهرية التي مر بها وحرمته من خوض تجربة الحب. بترو كشاب مازال في مقتبل العمر وعنفوان الشباب المتوقد.

هكذا كان الحب في دنيا الشاعر – بداياته الشعرية – يتبوأ مكانة مقدسة كونه ألهمه نظم القصيد..

وإذا ما انتقلنا إلى صورة المرأة في شعر الحضراني فسنجدها قد هيمنت على شعره الغزلي كما هيمنت على الشعر العربي منذ القدم ((كعلامة رمزية، فكانت صورة للخصب والنماء، ووجهاً من وجوه الاستمرار والديمومة والحياة.

وترجع الهيمنة إلى طبيعة هذا الكائن والميزات التي يتميز بها.. لهذا فتأثير الجنس الأنثوي على الفكر البشري قد جعل من المرأة نموذجاً أسطورياً عجيباً له فضاءاته الدينية والاجتماعية والتاريخية. على أن سيطرة الجوهر الأنثوي على المخيلة الإنسانية قد فتح المجال للفن عموماً وللشعر خصوصاً، كي يمتاح من هذا الجانب، متخذاً من المرأة عنصراً فعالاً في إثراء البنية الدلالية للنص)) (5) ، هذا ما نجده لدى الحضراني عندما تتمظهر لديه صورة المرأة المحبوبة فتجدد ما ذوى أو كاد يذوي بين أضلاعه، كما تأتي له في غزله بمحبوبته (عبلة) ذات الاسم المستعار. يقول فيها وعنها :

قد جددت لي عبلة ما ذوى — أو كاد يذوي بين أضلاعي (6)

فها هي محبوبة الشاعر عبلة تتبدى أمامه بروح جديدة تبعث له الأمل بعد أن كاد يفقده أو أوشك.. فتجدد له نبض الحياة عندما طلعت عليه بمنظرها الحلو ومنطقها (حديثها) العذب الإيقاع، فتثير جواه وتفعل من حركة حياته.

إن محبوبة الشاعر (عبلة) لم يكن اسمها هو ذات الاسم (عبلة) وإنما هو اسم مستعار لامرأة بعينها التقاها – ربما – الشاعر ذات يوم، بمحض الصدفة، وهو حينها خارج وطنه، في الكويت التي نظم فيها الشاعر قصيدته، فبادلته تلك المحبوبة الحديث الجميل فوقعت في قلبه واحتلت زاوية منه، كون جمالها الذي عبر عنه الشاعر بـ (منظر حلو) هو القيمة الدلالية الدالة على ذلك، والتي بدورها اوحت بتجدد ونما روح الشاعر بعد أن أوشكت على الذبال، فمن محبوبة الشاعر (عبلة) استمد الشاعر كل معاني الخصب والقوة والجلد في مواجهة الصعاب وقهر عدوانية الزمان والمكان، باعتبارهما الفضاء الرمزي القادر على احتواء كل معاني الحياة، على أننا لا نغل حقيقة أن الحضراني يعتبر من أشد المتأثرين بالشعر العربي القديم، ومن أشد المحاكين لطابعه الفني ونسيجه اللغوي، وخاصة في مثل هكذا اختيار لاسم محبوبته (عبلة) باعتباره من الأسماء التي كثيراً ما صادفناها في الشعر العربي القديم، وإن حاول – في بعض الجوانب – أن يتنصل من هذه المحاكاة بيد أن الطابع العام يظل يغلف أشعاره – الاقتباس من القديم العربي ومن التراث الفكري – وهذا الاغتراف مقبول ومحبب حينما تكون عملية مؤسسة تمنح هذه الرموز حركة جديدة تمكنها من رمي ثيابها القديمة البالية وارتداء ثياب أخرى جديدة تساعدها على إيجاد مكان لها ضمن المنظومة الرمزية للقصيدة الحديثة" (7)

وللتقليد عن الحضراني حيز شعري خصب في ذات موضوع الغزل، إذ لا نجده يبرح مكانه حتى يمضي يقلد ((شعراء الرومانسية العرب، ذلك لأن المعاني تزيد التعبير رقة وجمالة ومبالغة..)) (8)، نلمس هذا في قوله :

الله ما خلق الجمال لكي يذوب أسى ويضوى
لكن لتعبده القلوب لينتشي مرحاً وزهواً. (9)

هنا تبرز قيمة (الحب والجمال) التي مضى الشاعر يعبر عنها في أقصاء عبادة الجمال في قلوب المحبين، باعتبارهما مرتعاً للخلود، وقد زاد الشاعر في إثراء دلالة الجمال بفيض من الدهشة عندما قرن الجمال بـ (العبادة) ذلك لكي يبرز القيمة الجمالية الفنية لطبيعة الجمال ذاته الذي يزداد اتساعاً حيثما وجد الفضاء المطلق أمامه مفتوحاً.

إن بعض صور الحب عند الحضراني – أحياناً – يسودها الشوق والحنين المعمم بالحزن، خاصة عند استشعاره معاناة الجوع الغرامي لامرأة بعينها، لذا كان يزمع على تطعيم بعض تلك الصور بألوان ينفر منها الإنسان كـ (اللون الأحمر) الذي يوحي بالشر والسلب، بيد أن الشاعر لا يستخدمه إلا لكي يشد انتباه القارئ ومن ثم يشركه مشاطرة همومه وأحزانه لأن معظم صور الحب لديه ((وإن كان يتغنى فيها بالحب، إلا أنها صور يغلب عليها الحزن كما يؤكد هذا قوله من قصيدة (مستهام) :

مستهام يعبث الشوق به — عبث الموج بأنات الغريق
قلبه الدامي وقد حمله — من تباريح الهوى ما لايطيق
ليس ينفك حزيناً موجعاً — يصحب الأيام بالجرح العميق (10)

هنا لعبت الأفعال المضارعة (يعبث، يطيق، يصحب) لعبتها في تأكيد حركية الشوق العابث بالشاعر المستهام، فيما عزز من فاعلية هذا الشوق التشخيص الاستعاري (يعبث الشوق به) إذ جعل الشاعر من الشوق ما هو بمثابة إنسان يعبث بآخر وتحت تأثير القرينة الاستعارية الدالة على ذلك (يعبث) إذ العبث في هكذا حالة سمة تلحق بالإنسان أكثر من سواه، كما يؤكد التشخيص أن الحب ضرب من المغامرة غالباً ما يكون الشر حليفها ما لم يمتلك الإنسان السبل التي تقيه ذلك الشر العابث، وقد كانت صورة (الدم) الحسية ذات اللون الأحمر هي الصورة الأخرى المعززة للشوق العابث التي أثرت الدلالة السلبية بغية إبراز هموم وأوجاع الشاعر إزاء تجربة الحب الحزينة التي ربما باءت بالفشل.

الهوامش :

1. القطوف الدواني من شعر إبراهيم الحضراني، ديوان شعر جمعه محمد احمد الشامي، الهيئة العامة للكتاب، ط (1) ص9 .
2. شعر الغزل التقليدي في اليمن، دراسة في المضمون والشكل، عبد الرحمن العمراني، مطبعة الأمانة، مصر، ص3.
3. القطوف الدواني...، المرجع السابق، ص177.
4. دلالات الأشياء في الشعر العربي الحديث، البردوني نموذجاً، ملاس مختار، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2000م، ص60.
5. نفسه، ص60.
6. القطوف الدواني...، مرجع سبق ذكره، ص177.
7. دلالات الأشياء...، المرجع السابق، ص72.
8. شعر الغزل التقليدي في اليمن، المرجع السابق، ص103.
9. نفسه، ص104.
10. القطوف الدواني...، مرجع سبق ذكره، ص95.